مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (23) العدد (16)2001
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research-Arts and Humanities Science Series Vol (23) No (16) 2001

علم الدلالة بين العرب والغربيين

الدكتور محمد بصل *
الدكتورة فاتن محجازي**
زيداء غفر ***

(قبل للنشر في 2001/2/11)

□ الملخّص □

يشكل علم الدلالة ذروة الدراسات اللغوية التي وصل إليها علماء اللغة . ويلتقي في هذا العلم علماء الغرب مع علماء العربية القدماء في كثير من موضوعاته وعناصره ، إلا أن تلك البحوث لم تكن مؤطرة بإطار علم الدلالة بمفهومه اليوم بل جاءت مبثوثة في كتبهم اللغوية والنقدية أثناء معالجتهم قضايا اللغة بشكل عام .

ومجال علم الدلالة ينحصر في اللسانيات فقط لأنه العلم الذي يدرس العلامات الدلالية بين العلاقات اللغوية ومدلولاتها في أي نص والظروف والملابسات المحيطة بهذا النص بهدف الوصول إلى المعنى مركزا على البعد الاجتماعي للحدث الكلامي .

وقد اختلف الباحثون الغربيون في هذا المجال ، فمنهم من يرى أن موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى المعجمي للألفاظ ، ومعناها ضمن هذا الإطار هو المعنى المحدد والثابت لها ، ولا علاقة للسياق في تحديد معناها. في حين يرى باحثون آخرون أن علم الدلالة يهتم بتراكيب العلامات التي تظهر في الألسن الطبيعية ، وبتقصي العلاقات الدلالية بين العلاقات اللغوية ، على أن تنتظم هذه العلاقات في السياق الكلامي المحدد لمعناها .

وقد استطاع علم الدلالة الغربي في الآونة الأخيرة أن يشق طريقه في التطور ويخرج من الأفكار القديمة التي حددت له في بدايته وأعني بها انتقال الدراسة التاريخية لدلالة الألفاظ إلى الدراسة الوصفية التي تدرس المعنى وعلاقاته وأنظمته في فترة زمنية ثابتة .

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
** مدرسة في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
*** طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (23) العدد (16)2001

Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research-Arts and Humanities Science Series Vol (23) No (16) 2001

Semantics between the Arabs and Westerners

Dr . Mohammad Basal *
Dr. Faten Mhjazi **
Zaida Ghafar ***

(Accepted 11/2/2001)

□ ABSTRACT □

Semantics forms the highest point linguistics which linguists have reached. In this domain the western linguists meet with the old Arab linguists in many of its subjects and items although those researches were not framed in the semantic frame, but they were various in their linguistical critical books during their study to the language issues in general.

The semantics field is limited to linguistics only because it is the science which studies the semantic relations among the linguistic signs and its denotations in any text and the conditions and the surrounding circumstances of this text in order to reach meaning which emphasizes the social effect of speech.

westerns Researchers disagreed in this field. Some of them think that semantics is the study of the dictionary meanings of vocabulary and their meanings field is the meaning in its definite meaning and the context has nothing to do with its meaning. Other researchers believe that semantics concentrates on the formation of signs which appear in the natural tongues and to study the semantic relations a mong the linguistic signs. So that these signs arranged in the speech context which decides its meaning.

It is noteworthy that semantics could shoulder its way in development and get rid of the old thoughts which were decided for it at its beginning, and I mean the transition of the historical study of semantics into the descriptive study which studies the meaning and its relations and systems during a fixed period of time.

*** Associate Professor at Arabic Department. Faculty of Arts and Humanities. Tishreen University Lattakia . Syria.**

**** lecturer at Arabic Department. Faculty of Arts and Humanities. Tishreen University. Lattakia . Syria.**

***** Master Student at Arabic Department. Faculty of Arts and Humanities Tishreen University. Lattakia Syria.**

مقدمـة :

إن الدراسـةَ الدلاليةَ بدأت في مرحلة مبكرة جداً عند العرب ، منذ أن بدؤوا بالبحث عن تفسيرٍ لغريب القرآن للحفاظ على اللغة التي نزل بها الكتاب المقدس ، واتسمت تلك الدراسة في بداية عهدها بالاستقراء والتقصي عن المعاني التي تؤديها اللفظة . ومع دخول النقد العربي في بداية القرن الرابع تطورت الدراسة الدلالية معتمدة على الملاحظة الدقيقة لألفاظ النص فالناقد أصبح يبحث عن مناسبة المقال للمقام ، وعن قدرة النص على الأداء والتوصيل ، ويتحدث في موضع آخر عن مكوني العلامة اللغوية(الدال والمدلول)والعلاقة التي تربط بينهما وأهمية السياق في أداء المعنى ودراسة العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساحة المقال ، فكانت لهذه البحوث أهمية كبيرة في ارتقاء البحث الدلالي العربي ، ومواكبته للدرس الدلالي الغربي الحديث .

وتجلت هذه البحوث في بدايتها عند علماء الفقه ، وكانت غايتهم المعنى من أجل الوصول إلى أدق الأحكام ، ثم أخذت حيزاً واسعا في المؤلفات اللغوية والنقدية ، واتسمت هذه البحوث بالعمل التطبيقي أثناء نقدهم للشروح الشعرية أو النصوص الأدبية .

وإذا كانت الدراسة الدلالية العربية قد بدأت مبكرة عند العرب ، فالدراسات الأوربية لم يكن لها ذكر حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث أخذت هذه الدراسات مكانها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت قمة الدراسات اللغوية في وقتنا الحاضر .

وكان علم الدلالة في بداية حضوره عند الغرب يدرس وفق معطيات فلسفية وتاريخية إلى أن أقر سوسور عام(1916م) في كتابه« محاضرات في اللسانيات العامة »أن " Semiologie " هو العلم الذي يدرس حياة العلامات في أي مجتمع ويبين الأنظمة والقوانين التي تحكمها ، منطلقا من ثنائية الدال والمدلول وثنائية اللغة والكلام ليدرس في ضوء هذه المفاهيم أنظمة التواصل ، والعلاقات القائمة بين المرسل والمتلقي التي تتوضح غالبا في الأفعال الخطابية .

وقد حاول هذا البحث إلقاء الضوء على جانب مهم من الجوانب اللغوية عند العرب وهو الدراسة الدلالية وبيان قيمتها في ضوء علم اللغة الحديث من خلال الوقوف عند النصوص التراثية في الكتب اللغوية وغير اللغوية وبيان مفهوم علم الدلالة عند علماء اللغة العرب والغربيين وجهودهم في الدراسات الدلالية وأسبقية العرب في فهمهم لأهم عنصر من عناصر علم الدلالة وهو سياق الحال في إظهار المعنى بجوانبه المختلفة ومحاولة إثبات فرضية اشتراك العرب والغربيين في إدراك العناصر التي تؤلف هذا العلم .

أهميـة علـم الدلالـة :

إن علـم الدلالـة يتصـل بـالمجموع الكلـي للمعرفـة الإنسـانية ، والـذي أثـرى هـذا الموضـوع تـداخل علـوم أخـرى فـي مفهومـه كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات ، بل إن الصعوبات بدأت تزداد في وجه علم الدلالة نتيجة هذا التداخل لأن من أولى المهمات التي يتطلع إليها علم الدلالة دراسة العلاقات بين الدوالّ والأشياء التي تدل عليها .

وكل علم من هذه العلوم عبارة عن خطابات من العلامات ، تشكل مع بعضها البعض نسقاً علامياً تختلف فيه ماهية هذا النسق تبعاً للعلم الذي تنتمي إليه ، وتلتقي في حقل واحد هو التعبير عن مكونات هذا العلم بوساطة علامات تنتمي إلى المجال الذي يتم فيه التواصل ، بحيث تفترض هذه العلامات وجود علاقاتٍ تربط بين العناصر التي تكونها ، وتكون هذه العلامات هي الوسيلة المعتمدة في التعبير عن أنظمة العلامات في أي حقل من هذه الحقول وتنحصر غايتها في الإخبار والإعلام .

وبناءً على هذا يكون المعنى حاملاً معه دلالات كل علم بشكل يتفق مع اختصاصه ، ويتلاءم مع اهتمامه . فعلماء النفس مثلاً [1] يقومون بتطوير الوسائل من أجل معرفة الآلية النفسية التي تتم بها العملية الكلامية ، ويرصدون ردود أفعال الناس

تجاه حدث لغوي معين ، ويسألون عن طبيعة هذه الردود ومناسبتها للاستعمال اللغوي الطبيعي، ويحددون أثر شخصية الفرد وثقافته وبيئته على هذه الردود ، وقيمتها في تحديد معنى هذا الحدث اللغوي .

والألفاظ لاتصالها الوثيق بالتفكير فقد أخذت حيزاً واسعاً في الدراسات الفلسفية ، فكانت تنظر إلى ظواهر هذا الكون على أنها ماهيات تنتمي إلى العالم الخارجي ، وتهتم بالعلاقات الذهنية التي تربط الدلالات المعنوية بالواقع، وبالقيم التي تحملها هذه العلاقات عند نقلها من عالمها المجرد إلى عالمها المحسوس ، باعتبار أن المعنى ينتمي إلى عالم الروح أو عالم الغيب .

أما العلم التجريبي فإنه يسعى دائماً لمحاولة اكتشاف المعطيات التي يستخدمها نمطه المتعلق بدلائله . ومثل هذا النمط لا يمكن إلا أن يستعين بعلم الدلالة لفك شيفراته بوساطة اللغة . فعندما يُسأل عالم الرياضيات مثلاً عن فرضية فرضها فإنه سيعزز إجابته بنمط خاص يتعلق بالعلامات التي يستخدمها. والإنسان العادي لا يستطيع أن يصل إلى المعنى المرادِ لمجرد قراءته هذا النمطَ ، فهو بحاجة إلى لغة تصف هذا النمط ، ويتجه عندئذ إلى الفيلسوف ليشرح ماهية هذا النمط وطبيعته ، وعندما تنتقل هذه العلامات من معانيها المجردة إلى معانيها المحسوسة يسهل إدراكها ، ويصبح هذا النمط مسكوناً بالمعنى بعد أن كان . في نظر الإنسان العادي . فارغاً منه .

ورغم ما يبدو من تشابك هذه العلوم وتقاربها حين تتناول الألفاظ ودلالتها إلا أنه . كما رأينا . لكل علم علاماته وخصائصه ، ومنطلقاته ، وطريقته في كيفية تعبيره عن النتائج التي توصل إليها .

ونظراً لتلك العلاقة الوثيقة بين علم الدلالة والعلوم الأخرى ، يترتب على علم الدلالة أن يغزوَ كلَّ العلوم التي تشترك في إنتاجه ، ويلغي الحدود بين الحدود المعرفية ، ليتمكن من تحقيق منهجه وتقويم مسلكه ، رغم أن مهمة هذا العلم تتحدد في مجال الدراسة اللسانية فقط .

علم الدلالة بين العرب والغربيين :

أول مشكلة تعترضنا في مثل هذا البحث مشكلة فوضى المصطلح الذي تسوده ، فمصطلح علم الدلالة من أكثر المصطلحات التي لاقت تشعباً وتداخلاً ، ويعود سبب ذلك إلى عدم استقرار الباحثين في تحديد طبيعة المصطلح والموضوع الذي يعالجه .

لقد مرّ مصطلح علم الدلالة Sémentique)،(Semantic بمراحل كثيرة وتقلبت عليه مناهج متعددة قديمة وحديثة فصار بحاجة إلى وصف توضيحي لتحديد مجاله أو منهجه على حد تعبير الفيلسوف البولوني [2] آدام شاف ، الذي أشار إلى ضرورة تحديد مصطلح علم الدلالة وصوغه ضمن إطار اللسانيات .

واستعمال هذا المصطلح لم يكن حديثَ العهد ، فالنحاة منذ مطلع القرن التاسع عشر كانوا يستعملون عبارة " Sémasiologie " لتعني دراسة الدلالات اعتماداً على الجذر الإغريقي "Sema" أي علامة ، ثم أعطت هذه اللفظة الإغريقية فيما بعد كثيراً من المفردات اللسانية والدلالية مثل " الدليل، والإشارة ، والرمز ، والدلالة ... إلخ " .

واستبدل تلك العبارةَ اللساني الفرنسي ميشال بريال في أواخر القرن التاسع عشر [3] بـ " Sémantique" ليعني بها علم الدلالة أو القوانين التي تعمل على تحويل المعاني ، ووصفت دراستُهُ في ذلك الحين بأنها تطورية تهدف إلى دراسة تغيرات المعنى ، واستكشاف أسبابها وتصنيفها وتحليلها تحليلاً تطويرياً مهملاً الدراسة التزامنية لدلالة الكلمات .

ورغم تأكيده دائماً أن مثل هذا العلم تعود أصوله إلى الدرس البلاغي [4]، فإنه في النهاية استطاع ضم الدلالة إلى حدود اللسانيات ، وجعلها تتسم بالصفة العلمية ، وأصبحت بذلك علماً مستقلاً بذاته .

وارتبط ظهور هذا المصطلح أيضاً بجهود الفيلسوف الأمريكي ساندرس بيرس[5] (1839 . 1914م). على اعتبار أنه يدرس الرموز ودلالتها وعلاقاتها في جميع الأشياء والموضوعات التي حوله . فهي في نظره علم الإشارة الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى .

وحين ظهر كتاب فرديناندي سوسور " محاضرات في اللسانيات العامة " كان قد اقترح فيه قيام علم يحمل عنوان علم العلامات[6] " Sémilogie " وبيّن فيه أن هذا العلم سيعنى بمكونات العلامات وبالقوانين التي تحكمها في أي نظام علامي كيفما كانت ماهيته .

ومن هنا وضعت لفظة " Semiotics " مقابل لفظة " Sémilogie " وأصبحت اللفظتان كلتاهما تُستخدمان للإشارة إلى علم العلامات ، علماً أنَّ الفيلسوف بيرس شمل بمصطلحه علامات كل العلوم في حين نجد سوسور حدّد من خلال حديثه عن هذا العلم العلامة اللغوية فقط .

ونلاحظ أن كلاً من بيرس وسوسور ومِنْ قبلهما بريال ، قد اشتركوا بالجذر الأصلي لمصطلح علم الدلالة وهو " Séma " مع اختلاف ماهية موضوع كل باحث عن الآخر ، هذا الأمر جعل مصطلح علم الدلالة يتداخل مع مصطلح علم العلامات ويلابسه في معناه ، بالرغم من أن مصطلح علم الدلالة كان مشغولاً قبل أن يظهر مصطلح " Sémilogie " وطالما أنه مشغول لا يحق لنا أن نشغله بمصطلح آخر ، ولا أن نجعل له مرادفاً فالمصطلح لا يقبل الترادفات .

ولا يعني هذا استقلالية علم العلامات كعلم قائم بذاته عن علم الدلالة ، فبالإضافة إلى أنه امتداد لعلم الدلالة على نطاق واسع بحيث يشمل جميع أنظمة العلامات التي يتم بها . اللغوية وغير اللغوية . فهو يعتبر الدلالةَ أحدَ مكوناته ويشترك معه في أهم عنصر من عناصره وهو العلامة اللسانية .

وإذا تأملنا كتابات الباحثين المعاصرين حول ترجمتهم لهذا المصطلح وتحديده ، وجدنا أنفسنا أمام فيض واسع من المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بهذا العلم ، فنجدهم قد سئموا من فوضى المصطلح الذي تسوده . فنقرأ عن هذا المصطلح السيميولوجيا ، والسيميائية ، والسيمياء ، وعلم العلامات ، وعلم الرموز ، وعلم الإشارة ، والدلائلية ، وعلم الدلالة ، وعلم الأدلة ، وعلم الدلالات . وكل هذه المسميات تصف ظاهرة علمية واحدة تتعلق بدراسة أنظمة العلامات والقوانين التي تحكمها كل الإشارات الدالة في المجتمع ، لغوية أم غير لغوية ، في حين يختص علم الدلالة بدراسة العلاقات التي تحكم العلامات اللغوية في أي نص داخل سياق معين ، وفي فترة زمنية محددة .

وانطلقوا في هذا الكلام من مبدأ سوسور القائل : " إن اللغة نسق من العلامات المحملة بالدلالات والتي بواسطتها يتم إيصال المعنى " .

وأحدث كلام سوسور في هذا التعريف نقلة نوعية في مجال الدراسة الدلالية ، وقلب الدراسات الدلالية التطورية التاريخية إلى دراساتٍ وصفيةٍ تقوم على بيان العلاقات المعنوية الثابتة في أي نصّ . وجاء بعد سوسور علماء أمثال فيرث وأولمان وليونز وبالمر وعمّقوا دراساتهم الدلالية ، فدرسوا المعنى ضمن سياق لغوي ومقامي ، أو ما سموه بسياق الحال . Context of situation ووضعوا بعين الاعتبار كلَّ ما يتصل بهذا المقام من عناصر وظروف وملابسات وقت الحدث الكلامي .

وبهذا يمكن لأي نص في أي لغة أن يكون على درجة عالية من الانسجام والاتساق ، وبهذا الانسجام يشكل نسقاً كلياً ينطلق الباحثون في تحليل هذا النسق وتفكيك عناصره متطرقين للبحث في طبيعة الكلمة ، ووظيفتها داخل السياق وتحديد العناصر المكونة لهذا النسق .

واختلف الباحثون في دراسة هذا العلم فبعضهم يرى أن مجال علم الدلالة هو دراسة المعنى المعجمي ومعناها ضمن هذا الإطار هو المعنى المحدد والثابت لها [7] ولا علاقة للسياق في تحديد معناها عند انتظامها في نسق علامي ما ، باعتبار أن الكلمات ترتبط دائماً بدوال مادية،وأي علامة لغوية هي نواة لمعنى ثابت وهذا المعنى يضمن هويتها كعلامة لغوية ولكن دلالة أي حدث لغوي لا يمكن أن تقتصر على المعنى المعجمي للكلمة الواحدة ، لأن المعنى المعجمي للكلمة الواحدة لا يمثل إلا جانباً محدوداً من دلالاتها، ولا يمكن فهم المعنى الكامل لنص معين أو لفظ ما من معناها المعجمي فورودها في سياقات متعددة يجعل لها معانيَ كثيرة ، وكل كلمة لها معنيان : معنى أساسي ومعنى سياقي يتحدد وفق المواقف والظروف التي ترد فيها كل كلمة

ويرى باحثون آخرون أن علم الدلالة يهتم بتراكيب العلامات التي تظهر في الألسن الطبيعية ، وبتقصي العلاقات الدلالية بين العلامات اللغوية ، على أن تنتظم هذه العلامات في السياق الكلامي المحدد لمعناها .

فأي علامة لغوية تنتظم مع غيرها تكوّن الكلمة ، والكلمات تكوّن الجمل ، حتى يتحدد التأليف الكلي للنص ، وعندئذ تعيش الجمل في سياق اجتماعي وثقافي حاملة معها دلالاتها .

وقد أكد سوسور أن معنى العلامة اللغوية هو قيمتها التي تستمدها من ارتباطها بعلامات أخرى في إطار سياق متكامل وأن كل علامة لغوية تتمثل من خلال الارتباط بين المفهوم والصورة السمعية (الدال والمدلول) .

وتظهر وحدات المعنى حينئذٍ في اللغة في شكل شبكة من العلاقات تتصل معاً في تركيب الجملة ، وحين يتم تشكيل نسق من العلامات اللغوية تتشكل معها الكلمات ، ثم ترتبط مع بعضها بعلاقات تركيبية ونحوية ، ليتم إنتاج المعنى ضمن ظروف ومواقف معينة يرد فيها النص .

ولا يخفى على علماء اللغة الغربيين ما لأثر سياق الحال أو الظروف الحالية المحيطة بأي حدث لغوي من قيمة كبيرة في تحديد المعنى ، كشخصية المتكلم وثقافته وعناصر الأداء الصوتي كالنبر والتنغيم وفي بعض الأحيان تكون هناك عناصر مصاحبة للحدث الكلامي غير صوتية تؤثر في المعنى كالإيماءات والإشارات باليد والغمزات ورفع الحاجبين ... إلى غير ذلك من هذه العناصر وعلم الدلالة في العربية يقابل المصطلح الإنكليزي " semantic " والفرنسي " semantique " وقد تيلور هذا المصطلح لدى علماء اللغة المحدثين في صوره الحديثة تلك ، وكلا المصطلحين العربي والغربي يتجهان حالياً بدراستهما نحو دراسة العلاقات بين العلامات اللغوية ومعناها ، ونشوء هذا العلم عند العرب قديم قدم دراستهم اللغوية ، والمعنى عندهم هو غاية الدراسة اللغوية ومحصلة التحصيل الكلامي الذي يجهد الناطق والسامع في أي خطاب – سواء كان مكتوباً أو منطوقاً – لفهمه ومع ذلك لا نجد أي ذكر لمصطلح علم الدلالة بمفهومه الحديث في الكتب الدراسية العربية ولا تعريف له بالرغم من وجود الكثير من النصوص في كتبهم النقدية واللغوية تشير إلى وعيهم هذا العلم وإدراكهم أهم المرتكزات التي يقوم عليها علم الدلالة .

فقد تميزت تلك الدراسة عند العرب بغناها وتشعب بحوثها ونظرياتها ، فوضع تعريف لدراسة المعنى ليس بالأمر السهل ، وليست هناك أية محاولة لتعريف هذا العلم عند اللغويين على اعتبار أن هذا العلم يخصهم وهو الهدف النهائي من تحليل البنية اللغوية صوتياً وصرفياً ونحويا ومعجمياً .

إنما لامسوا هذا العلم بشكل عمليّ وتطبيقي ، فتحدثوا عن المعنى كثيراً إلا أن المعنى غير دراسة المعنى لأن المراد بالمعنى « الشيء الذي يفيده لفظه »[8] أما دراسة المعنى فهي مجموع العلاقات التي تحتشد فيها الروابط والنغمات في سياق معين لإنتاج المعنى .

وأول محاولة لامست تعريف هذا العلم وردت في نص الجاحظ في تعريفه للبيان[9] « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع . فالدلالة هي إنتاج المعنى في نص شكلت علاماته نسقاً كلياً من دوال ودلالات أنتجه الباث إرادياً ضمن شروط وظروف معينة من أجل الإيضاح عن قصد ما ، وأي نص مهما كانت ماهيته لا ينتج لمجرد اللغو إنما بهدف الإبلاغ والتوصيل فمتى بلغت هذا الهدف يظهر لك المعنى جلياً وتكشف حقيقته » .

ونستشف من نص الجاحظ أنه كان يدرك أن المعنى لن يظهر إلا بإزالة الغموض والملابسات التي تحيط بالنص المنتج وبمعرفة العناصر المكونة للحدث الكلامي من نبرٍ وتنغيمٍ ومناسبة المقال للمقام ولهذا قال « فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ».

ونلاحظ أيضاً أن الجرجاني الذي ألّف كتاباً في المعاني لم يورد تعريفاً لدراسة المعنى علماً أنه كان يشير في أكثر من موضع إلى قضايا كثيرة تخص علم الدلالة فتحدث مثلاً عن ربط الألفاظ بالدلالة ، وأكدَّ أن تلك الألفاظ تشكل بمجموعها نسقاً من العلامات وهذا النسق هو الذي ينتج الدلالة وتكون بدورها أساس هذا النظام المنجز ، ومتى انخلعت هذه الألفاظ من دلالتها لم يعد فيها ترتيب أو نظم[10] « ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء أحق بالتقديم من شيء ، ولا تصور أن يجب فيها ترتيب ونظم » .

وهناك محاولة للسكاكي يحاول فيها صوغ تعريف يقترب مفهومه من مفهوم دراسة المعنى إلا أنه لم يتسم هذا التعريف بالوضوح ويقول السكاكي[11] « اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»

ويفهم من تعريف السكاكي أنه وعى قيمة سياق الحال والظروف المحيطة بتراكيب الكلام التي تمنع حدوث الالتباس ووقوع الخطأ أثناء تطبيق الكلام .

وابن خلدون أشار في مقدمته إلى ضرورة النظر في تعيين دلالات الألفاظ وأهميتها في تحديد المعنى في تراكيب الكلام « يتعين النظر في دلالة الألفاظ ، ذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوصفية مفردة ومركبة » .

أما ما ذكر في الاصطلاح القديم لمفهوم الدلالة وتعريفها في كتاب التعريفات للجرجاني[13] (740 – 816 هـ) بأن كون الشيء بحالة ، يلزم من العلم به بشيء آخر ، الشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول .

فكان المقصود بذكر كلمة الدلالة في التراث القديم مفهوم العلامة بمفهومها اليوم ، لأن الدلالة لا يمكن أن تكتمل بركنين هما الدال والمدلول ، وقد سبقه في ذلك ابن رشيق القيرواني[14] وحدد مكوني العلامة بالدال والمدلول وأشار إلى الدال باللفظ وإلى المدلول بالمعنى ، وشبه العلاقة بينهما ارتباط الروح بالجسد ، ولا يمكن تصور دال بدون مدلول كما لا يمكن تصور جسد دون روح .

ومع اتساع الأفق العلمي في القرن الثالث الهجري ، ودخول النقد على دراساتهم اللغوية ، استطاع علماء اللغة العربية أن يثبتّوا أهمَّ المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها هذا العلم.فقاموا بدراسة المعنى من خلال شرحهم للنصوص الأدبية

وتفسيرها وبيان كيفية أدائها للمعنى ، ودور القرائن الحالية (المقام) ، والقرائن المقالية (المقال) ، في توجيه الدلالة وأهمية السياق في إبراز المعنى .

وإذا كان سياق الحال يشكل الأساس المتين لعلم الدلالة ، فإن العلاّمة ابن جني سجلت له الريادة في هذا المضمار وكان له قصب السبق في معالجته لسياق الحال ، ولمعظم بحوث علم الدلالة ، فتحدث عن دور اللفظة داخل سياقها والعلاقة التي تربط بين الدال والمدلول اللذين يكونان العلامة ، وتطرق إلى أنواع الدلالات وأهمية اتساقها وانسجامها مع بعضها لإنتاج المعنى .

ولم يكن اللغويون والنقادُ الوحيدين الذين احتضنوا هذه الدراسات ، بل إن المساهمات الكثيرة السبّاقة لعلماء الأصول والفقه والتفسير أثْرتْ بسعتها وعمقها هذا العلمَ إثراءً كبيراً ، والعالم بأبحاث الأصوليين . فيما يخص الدلالة . يسند أصول هذا العلم إلى البحث الأصولي والفقهي ، فلا يكاد يخلو مؤلَّف من مؤلفاتهم من مباحث هذا العلم . ويرجع سبب اهتمامهم به إلى استنباط الأحكام التي يقوم عليها التشريع ، بناء على أدلة تقتضي معرفة دلالة الألفاظ العربية ومعانيها ، ليعرف المقصود من نصوص الكتاب المقدس . فأدركوا حقيقة العلاقة بين الدال والمدلول وعرّفوا الدلالة بأنها [15] « كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر » ويفهم من هذا التعريف أنه إذا تحقق العلم بالدال ترتب عليه العلم بالمدلول ولا يمكن تصور دال بدون مدلول ، كما لاحظوا دور السياق في تحديد المعنى بصورة دقيقة ، وتحدثوا عن أثر السياقات المقالية والمقامية في إنشاء دلالة أي نص .

وقسموا الدلالة بناء على علاقة الدال بالمدلول إلى قسمين : دلالة لفظية ، ودلالة غير لفظية ، وهذان بدورهما ينقسمان بحسب طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول إلى عقلية وطبيعية ووضعية . بينما قسمها اللغويون إلى دلالة صوتية ودلالة صرفية ودلالة معنوية ودلالة اجتماعية ، وانطلقوا في تقسيمهم للدلالة من تقسيم ابن جني فهي عنده[16] أربعة :

1 . دلالة مشاهدة الحال 2 . الدلالة اللفظية 3 . الدلالة الصناعية 4 . الدلالة المعنوية

وصنّفها في ثلاث مراتب وجعل أقواها الدلالة اللفظية ثم الصناعية ثم المعنوية .

ويلتقي ابن جني في تقسيمه للدلالة مع أولمان الذي حصر أنواع الدلالات في ثلاثة أمور :

1 – التأثير الصوتي (الدلالة اللفظية) ، 2 – والصرفي (الدلالة الصناعية)

3 – والدلالي (الدلالة المعنوية) .

ولا يمكننا الآن اعتبار أقسام الدلالات على نحو ما قسمها العلماء المحدثون والقدماء أهم بحث في مجال علم الدلالة لأن النص يشكل نسقاً كلياً منسجماً مع جميع دلالاته ، بالإضافة إلى عناصر أخرى تجتمع لتشكيل الدلالة، ودراسة العلاقات التي تحكم هذا النسق هي التي تشكل لب علم الدلالة وما قام به العلماء قديماً ، وما يقوم به العلماء الآن من دراسات حول الكلمة وما يتعلق بها فتنطوي ضمن تحليل وتفكيك العناصر المكونة للحدث الكلامي .

وأخيراً يمكن القول : إن البحوث الدلالية العربية لها أهمية بالغة في تقدم الدرس الدلالي العربي ومواكبة العقل العلمي الحديث في بحث هذا العلم ، وما توصلوا إليه من دراسات في هذا المجال تنبئ بالمستوى الرفيع الذي وصلوا إليه وتدل على إدراكهم لأهم العناصر المكونة لهذا العلم .

ولا أريد القول بهذا الكلام : إن علماء العربية توصلوا في علم الدلالة إلى ما توصل إليه علماء الغرب ، ولكن ما توصل إليه العرب يمكن أن يشكل اللبنة الأولى لانطلاق هذا العلم .

نتائج البحث :

لقد شغل علم الدلالة الباحثين العرب والغربيين منذ أمد طويل ، واختلفت مناهج البحث حول ماهية هذا العلم وموضوعه ومصطلحه ، ذلك لأن حقل الدلالة واسع جداً ، وجميع العلوم على اختلاف بحوثها ونظرياتها تلتقي في حقل واحد هو الدلالة باعتبارها مركز العملية الاتصالية لأي علم .

ويشكل علم الدلالة ذروة الدراسات اللغوية التي وصل إليها علماء اللغة ، ومجاله ينحصر في اللسانيات فقط ، لأنه العلم الذي يدرس العلاقات الدلالية بين العلامات اللغوية ومدلولاتها في أي نص والظروف والملابسات المحيطة بهذا النص بهدف الوصول إلى المعنى مركزاً على البعد الاجتماعي للحدث الكلامي .

وقد امتدت دراسة هذا العلم من دراسة الاتصال البشري إلى تحليل الأنظمة الطبيعية في كل حدث اتصالي يتم بين المرسل والمتلقي .

وسنحاول في هذا البحث أن نصل إلى بيان ما توصل إليه العلماء المحدثون من نظريات في مجال علم الدلالة ومقارنتها مع جهود علمائنا العرب من خلال قراءتنا للنصوص التراثية في ضوء معطيات علم اللغة الحديث ، لنصلَ إلى النقاط والمباحث التي يلتقي بها علماء العربية مع الباحثين الغربيين ، لا سيما أن علماء العربية كانوا السبّاقين لإدراك العناصر المؤلفة لهذا العلم ، والعوامل والظروف المحيطة بالحدث الكلامي من أجل الوصول إلى المعنى المراد

الحواشي:

(1) – أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، أنقرة ، الكويت ، الطبعة الأولى، 1982م ، ص16 .

(2) – هربرت بركلي ، ترجمة قاسم المقداد ، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1990م ، ص13 .

(3) – بييرجيرو – ترجمة منذر عياشي،علم الدلالة،دار طلاس، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1992م . ص19 .

(4) – منذر عياشي ، اللسانيات والدلالة ، مركز الانماء الحضاري ، حلب، الطبعة الأولى،1996م ، ص24 .

(5) – محمد عزام ، النقد والدلالة ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، الطبعة الأولى ،1996م ص11–12 .

(6) – سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد ، مدخل إلى السيميوطيقا ، دار الياس العصرية ، القاهرة 1986م ، ص149 .

(7) – هربيرت بركلي ، ترجمة منذر عياشي ، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني ص58 .

(8) – أبو الحسن أحمد بن فارس ، الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران ، بيروت ، لبنان ، 1963م .

(9) – أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ج1 ، دار الفكر ، دون تاريخ ، ص76 .

(10) – عبد القاهر الجرجاني النحوي ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص50 .

(11) – يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية للملايين ، 1983م ، ص161 .

(12) – عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص419.

(13) – علي بن محمد علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1985م ، ص139 .

(14) – أبو الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1988م ، ص252 .

(15) – توفيق محمد سعد،دلالة الألفاظ عند الأصوليين،دار الأمانة،مصر،الطبعة الأولى ، 1987م ، ص10 .

(16) – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، الجزء الثالث ، دون تاريخ ، ص98 .

المراجع:

.....

1 – أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1982م .
2 – أبو الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1988م .
3 – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ .
4 – أبو الحسين ، أحمد بن فارس ، الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران ، بيروت ، لبنان ، 1963م .
5 – أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ج1 ، دار الفكر ، دون تاريخ
6 – بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي ، علم الدلالة ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1992 م .
7 – توفيق محمد سعيد ، دلالة الألفاظ عند الأصوليين ، دار الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1987 م .
8 – سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد ، مدخل إلى السيميوطيقا ، دار الياس العصرية ، القاهرة ، 1986 م .
9 – عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، دون تاريخ .
10 – عبد القاهر الجرجاني النحوي ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، دون تاريخ11– علي بن محمد علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1985 م .

12 – منذر عياشي ، اللسانيات والدلالة ، مركز الإنماء الحضاري حلب الطبعة الأولى 1996م .
13 – محمد عزام ، النقد والدلالة ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1996م .
14 – أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية للملايين ، بيروت ، 1983م .
15 – هربيرت بركلي ، ترجمة قاسم المقدار ، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1990 م .